المحاضرة الرّابعة
الجملة الفعليّة وأنماطُها

د. يوسف يحياوي

ذكَرنا سَابقًا أنّ الإسنادَ هو الأصلُ الّذي تُبنَى عليه الجملةُ أو بالأحرى الأصلُ الّذي يُبنَى عليه الكلامِ، فلا وجود لكلامٍ عند النّحاة القدامى ما لَمْ تتَحَقّق فيه الإفادةُ، والإفادةُ في نظرِهم مَرهونةٌ بِرُكْنَيْ الإسنادِ؛ المسندُ والمسندُ إليه أو بالمسنَدِ إليهِ والمُسنَدِ (مع الجملةِ الاسميّة).

وظاهرةُ الإسنادِ سِمةُ كُلِّ اللُّغاتِ في العالم، وهي ظاهرةٌ معقّدةٌ لَوْ تناولناها مِنَ الجانب الذّهنيّ؛ فاللّغة الفرنسيّة مثلًا تَستعمِلُهُ Attribution (الإسناد) في الرّبط بينَ جُزأَيْنِ مِنَ الكلام كَقولِهم: (L'étudiant recopie le cours) وتُفيدُ بِأَنَّ (الطَّالِبَ يَنقُلُ الدَّرْسَ) فَهِيَ جُملةٌ اسميَّةٌ في أَصلِ نِظامِ اللّغة الفرنسيّةِ، أَسنَدْنَا فيها نَقلَ الدّرسِ إلى الطَّالِبِ. ومِن هُنا يتأكّدُ لنا أنّهُ ما مِنْ كَلامٍ أُلِّفَ في اللّغة إلّا وفيه الإسنادُ سواء أكان ظاهرًا في السّياقِ أم محذوفًا يُقدَّرُ في الكلام؛ وعليه، عَرّفه جُمهُورُ النُّحاةِ في اللُّغة العربيّة بِضَمِّ إحدَى الكلِمَتيْنِ إلى الأخرى على وَجهِ الإفادةِ التّامّةِ، وهو الوَجهُ الّذي يحسُنُ السّكوتُ عليهِ.

وقمينٌ مِنَّا أنْ نُوضّحَ لِلطّالِبِ ظاهِرَةَ الإسنادِ وتَجلّياتِها في نَوعَيْنِ مِنَ الجُمَلِ الّتي كَثُرَ استِعمالُها في كَلام العربِ والقرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريفِ مَعنًى ولَفظًا؛ وأمّا الإسنادُ فَيأتِي في جُملتيْنِ فعليّة واسميّة♦.

ففي الجملةِ الفعليّة وهي موضوعُ درسِنا، حيثُ إنّ رُكنَيْ الإسنادِ فيها يَكمُنُ في المُسنَدِ (الفِعلُ) والمُسندِ إليه (الفاعل)، أو ما نابَ عَنهُما فِي الكَلامِ مِنْ بِناءِ الفِعلِ لِلْمَجْهُولِ وإِسنَادِهِ لِنَائِبِ الفاعِلِ أَضِفْ إليها مُتمِّمَاتِهَا مِنْ عَناصرَ.

إليك مثالٌ على ذلك:

♦ أنواع الجملة اختلف فيها النّحاة حديثا ولا سيما بعد اجتهادات المتأخرين من النّحاة؛ فلو عدنا لتقسيم ابن هشام لوجدناه يضيف الجملة الظرفيّة، كما زاد عليها الكثير من اللّغويين المحدثين أنواعًا تتناسبُ وغرض الجملةِ وسياقَها كالجملة الشّرطيّة، لكنّ التّأصيل الأوّل للكلام ميّز بين الفعليّة والاسميّة وما سار على نهجهما.

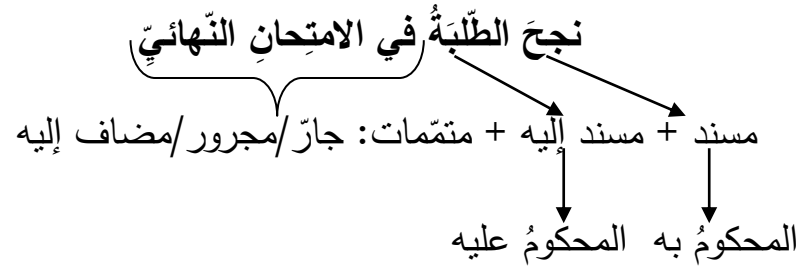

ففي المثال السّابق أسندنا النّجاحَ للطّالب، أي: حَكمْنا على المُسندِ إليه (الطّالب) بالنّجاح.

1/- الجملة الفعليّة وأنماطُها (تركيبُ الجملَةِ الفِعليّةِ): في هذا العُنوانِ شَيءٌ مِنَ الغُموضِ كونَه مُتَرجَمًا مِنَ الفِرنسيّةِ Types de la phrase verbale والّتي تعني مختلَفَ الأساليب. ولسنا نَعني بالنّمط الاستِفهامَ أو التّعجُّبَ وغيرَ ذلك، إنّما المقصودُ هو التّركيب أي مُكوّنات الجملةِ الفعليّة؛ وحتّى نَذْهَبَ بالطّالب المَذهّبَ الصّحيحَ دُونَ أن يَكتَنِفَ الدّرسُ غموضًا -يُنَفِّرُهُ عن فَهم الظّاهرة اللّغويّة- وجبَ علينا الوُقوفُ على تقريبِ مفهوم الجملة وصولًا إلى أنواعها قبلَ تحديد صور الجملة الفعليّة.

تُعرَّفُ الجملة عند النّحاة القدامى بالمركّب الإسناديّ؛ وهو إسناد كلمةٍ إلى أخرى (كما سلَفَ الذِّكرُ)، لكنّ المصطلحَ لم يَكنْ له جَلاءُ الظّهورِ إلّا بعد القرن السادس ولا سيما مع تقسيمات الزّمخشري، وإنْ كانت الجملة (للمبرّد) إشاراتٌ لكلمة الجملة في كتابه المقتضب دونَ أنْ يُرادَ بِها معنى الكلام.

وحَرِيٌّ منّا تبيينَ الفرق الموجود بين المصطلحيْنِ مِن زاوية الاستِعمالِ والدّلالة قديمًا وحديثًا، فـ"الكلامُ اللّفظُ المفيد بالوضع إفادة يحسُنُ السّكوتُ عليها."[1] هذا وقد اقتصر النّحاة القدامى في استعمالهم (الكلام) لكلّ ملفوظٍ استوفى المعنى والإفادةَ، وخرجَ بذلك الرّمزُ والكتابةُ مِن كلِّ وسائل الخطاب الّتي نستعملُها اليومَ. وفي القرن الرّابع الهجريّ نجد تعريفَ (ابن جنيّ المتوفى سنة: 392هـ) في قوله: "أمّا الكلامُ فكلُّ لفظٍ مستقلّ بنفسه مفيدٍ لمعناه، وهو الّذي يُسمّيه النّحويّون الجملَ، نحو: زيدٌ أخوك وقامَ محمّد[2]. وقد سَلَكَ (الزّمخشري المتوفى سنة: 538هـ)

---

1 - ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالكٍ، ج1، ص12.

2 – يُنظَر: ابن جني، الخصائص، مج: 01، ص17.

في تعريفه نفس المنهج حيثُ اقتِضاء الكلام للفائدة، وقد تترادف عنده الجملةُ مع الكلام[1]، في حين يرى غيرُه مِمن أتى بعدَه أنّ الجملةَ لا يُشترَطُ فيها الإفادةُ إذْ هيَ أعمّ من الكلام، فكلُّ كلامٍ جُملةٌ ولَيسَ العَكْس[2]؛ ومِثل ذلكَ الجملَةُ الشَّرطيّة: إنْ تَفْعلْ خيْرًا. والملاحظ فيه الجملة أنّها استوفَتْ شُروطَ الإسنادِ لكنَّها لَيْسَتْ تَامّةً لِغِيابِ جُملَةِ الجَوابِ.

والمثالُ الأكثر دِقّةً يَتجلّى في وُرود الكلامِ ناقصًا لا يَحسُنُ السّكوتُ عليه وإِنْ بُنِيَتِ الجُملَة في تَركيبٍ سليمٍ يُذْكَرُ فيه الإسنادُ ومتمّماتُهُ؛ أَ لَا تَرَى أيُّها الطَّالِبُ في قَولِه تَعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ.... ﴾ أنّه ليْسَ بِكلامٍ دُونَ ذكرِ جملة الحال ﴿..وأَنتُمْ سُكَارَى﴾ (الآية 43 من سورة النّساء)، فعبارة "لا تقربوا الصّلاةَ" في ظاهرها استوفَتْ جميع الشّروط الّتي ذكرها النّحاة في الكلام لكنّها تحتاج لجملة ثانية حاليّة للإفادة، وهذا ما يَجعلنا نَحصُرُ معناها في كونِها جُملَةً فقط، ونَظيرُ هذا المثال نَجدُه في اللّسانيات الحديثة وعلم النّصّ أو اللّسانيات النّصيّة، (وموضوع اللّسانيّات وعلومها يأتيك لاحقًا في السّنة الثّانية في مادتيْ اللّسانيات العامّة والمدارس اللّسانيّة) ويكفيك أن تَفهَم أنّ السّياق هو أساس الإفادة في الكلام.

2/-أنماط الجملة الفِعليّة: ومن صورِها (الفعلُ والفاعل)، و(الفعل والفاعل والمفعول به بأنواعه (أوّل وثانٍ وثالِث)، و(الفعل والفاعل وشبه الجملة مِن جارٍّ ومجرور أو ظرف ومضاف إليه)، والجملةُ الّتي يُحذَفُ فاعلُها بأنواعِها (أي الجملُ المبنيّةُ للمجهولِ)، وكذلِكَ الجملة الفعليّةُ الّتي يُحذفُ فاعِلُها (جمل النّواسخ: كان وكاد...).

1/2-الجملة من الفعل والفاعل: وتتكوّنُ مِنَ الفِعلِ اللّازِمِ الّذي يَكتَفي بِفاعِلِهِ، نحو:

قولِه تعالى: ﴿..أفلَحَ المُؤمِنُونَ..﴾ (الآية 111 من سورة المؤمنون)

أسندنا في هذه الجملة الفلاحَ إلى المؤمنينَ، فالفعل: أفلحَ ⟵ مسندٌ ⟵ لازمٌ

والفاعلُ: المؤمنونَ ⟵ مسند

---

1 – يُنظَرُ: الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب،

2 – يُنظَرُ: ابن هشام الأنصاريّ، مغني اللّبيب.

2/2- الجملة الفعليّة المكوّنة من فعل وفاعل ومفعول به: والمفعول به فضلةٌ حيثُ عدَّهُ النّحاةُ عنصرًا أساسًا في الجملة الفعليّة الّتي فِعلُها مُتعدٍّ، وبالمفعول به يُتَمُّ معناها.

قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بالحقِّ.....﴾ (الآية 44 من سورة العنكبوت).

ويجوز للمفعول أن يتقدّم على الفاعل، نحو: شَرّفَني حُضُورُكم.

3/2- الجملة الفعليّة المكوّنة من فعل وفاعل ومفعول به أوّلَ ومفعولٍ به ثانٍ: إذا كان الفعل من الأفعال الّتي تَنصِب مفعولَيْن أصلُهما المبتدأ والخبر، وهي ظنّ وأخواتها، أو من الأفعال الّتي تنصِب مفعولَيْن ليس أصلُهما المبتدأ والخبر.

1- ظن وأخواتها: وتُقسَّمُ إلى ثلاثٍ:

1/-أفعال اليقينِ: رأى، علم، وجد، درى، تعلّم، ألفى.

2/- أفعال الرّجحان: وتتمثّل في ظنّ، خال، حسب، زعم، عد، حجا، هبّ.

3/- أفعال التّحويل: ومنها صيَّر، جعل، اتّخذَ.

وأمثلتها ما يأتي: قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (الآية 8 من سورة فاطر)، وقال: ﴿...فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً..﴾ (الآية 44 من سورة النّمل).

2- أفعال تَنِصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر: (كسا، ألبس، سأل، أعطى، أطعم، سقى، علَّم) قال الله تعالى: ﴿...فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا..﴾ (الآية 14 من سورة المؤمنون)، وقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا..﴾ (الآية 8 من سورة الإنسان).

4/2- الجملة الفعليّة المركّبة من فعل وفاعل ومفعول به أوّل ومفعول به ثان ومفعول به ثالث: إذا كان الفعل من الأفعال الّتي تتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل، وهي: أعلَمَ . حدَّث . نبَّأ . أنبأ . خبَّر . أخبر.

قال الله تعالى: ﴿...كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ..﴾ (الآية 167من سورة البقرة).

وقوله: ﴿...أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ..﴾ (الآية 40 من سورة فاطر)، فجملة الاستفهام سدّت مسدَّ المفعولَيْن الآخِرين، والضّمير في " أَروني " المفعول الأوّل.

وقال كعب بن زهير: نُبِّئْتُ أَنَّ رسولَ اللهِ أَوْعَدَنِ***والعَفْوُ عنْدَ رسولِ اللهِ مأمولٌ

فإعراب نُبئت: فعل ماض مبني للمجهول، والتّاء في محلّ رفع نائب فاعل، وهي المفعول الأوّل في الأصل، وأنّ واسمها وخبرها سدّت مسدّ المفعولَيْن الآخَرين.

5/1- الجملة الفعليّة مفعول به وجار ومجرور (أو ظرف).

6. فعل وفاعل وجارّ ومجرور (أو ظرف).

خامسا. فعل وفاعل ومفعول به وجارّ ومجرور (أو ظرف):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ﴾، وقوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

سادسا. فعل وفاعل وجار ومجرور (أو ظرف):

قد يلي الفاعل جارّ ومجرور، قال الله تعالى: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ﴾، وقوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.